طريقة القرآن في التعريف بأسماء الله وصفاته

لم يكن القرآن الكريم مجرد كتاب يتلى ويتعبد به فقط، بل كتاب هداية وإرشاد، غير مرتبط بزمان أو مكان، بين الله ﷻ فيه أمور الدين أعظم بيان، ومنها أمور الإيمان والتوحيد، وأعظمها ما يتعلق بأسماء الله وصفاته، فمن تدبر القرآن وجد أن الله ﷻ قد تجلي فيه بأسمائه وصفاته، متعرفاً إلى عباده بصفات ألوهيته، وصفات ربوبيته، وصفات كماله وجلاله، وتأمل العبد في آياته يجعله وكذلك تدبره وتعقله يعرف رباً قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، منزه عن المثال تعالى شأنه، برئ من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال، فعال لما يريد، فوق كل شيء، ومع كل شيء، وقادر على كل شيء، ومقيم لكل شيء[1].

فهو النجاة من كل سوء والفوز بكل خير كما قال ابن القيم: (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه وجمع الفكر على معاني آياته. فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر.. وتثبت قواعد الإيمان في قلبه.. وتشهده عدل الله وفضله. وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله...)[2].

وليس ذلك فحسب بل إن (القرآن عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات

(1) انظر الفوائد لابن القيم ص: 316.
(2) مدارج السالكين (1/ 451).

الرب سبحانه وأسمائه وأفعاله وأنواع حمده والثناء عليه والإنباء عن عظمته وعزته وحكمته وأنواع صنعته والتقدم إلى عباده بأمره ونهيه. .)[1]

وباستقراء آيات القرآن الكريم يتبين أن طريقة القرآن المثلى في التعريف بأسماء الله وصفاته طريقة تخاطب الفكر والعقل للعبد وكذلك قلبه فيعرف أسماء ربه وصفاته، ويقر بها، ويثبتها، ويحبها ويعمل بمقتضاها، فثبوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة، دالة على معان متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد له، وتفصيل محامده وأن له المثل الأعلى وإثبات معاني أسمائه، ونحو ذلك، كله دال على هذا المعنى[2].

وللقرآن الكريم مسالك متعددة في تعريفه بالله تعالى وأساليب شتى، وطرق إقناع متنوعة وطرق إلزام وإفحام، فاكتملت به الهداية، وقامت به الحجة[3]. ومن الأساليب البارزة عند تأمل طريقة القرآن في التعريف بالله وأسمائه وصفاته ما يلي:

(1) طريق الهجرتين ص: 182.
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية (6/ 27).
(3) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم للألمعي ص: 64.

الحديث عن الأسماء والصفات مباشرة

ومن ينظر في القرآن الكريم يجده يزخر بالحديث عن كثير من أسماء الله وصفاته، وإن لم يتحدث عنها كلها، بل أخبر أن العباد لن يحيطوا به علماً، ولن يعرفوا كل ما له ﷻ من الكمال.

ومما تحدث عنه القرآن من أسماء الله وصفاته: اسم الله الدال على ألوهيته ﷻ والدال على جميع أسمائه وصفاته، فقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: 2].

كما تحدث عن كمال حياته تعالى شأنه وقيامه على كل شيء ﷻ ومن قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 255]. وكذلك تحدث القرآن الكريم عن وحدانيته تعالى وكماله ﷻ كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8] وتحدث عن رحمته في مواضع متعددة فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمٰن: 1-3].

وكذلك ختمت كثير من الآيات بذكر أسماء من أسمائه الحسنى تعالى ومن ذلك قوله: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: 61، يوسف: 34، الشعراء: 220، فصلت: 36، الدخان)، وقوله: ﴿هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يوسف: 98، القصص: 16، الزمر: 53) ولهذا قال ابن القيم: (هذا القرآن من أوله لآخره إنما يدعو الناس إلى النظر في صفات الله وأفعاله وأسمائه)[1].

فمن خلال النظر في آيات القرآن عرفنا اسم الله، والحي، والقيوم، والرحمٰن، والسميع، والعليم، والغفور، والرحيم، وغيرها من أسمائه

(1) مدارج السالكين (1/ 233).

الحسنى الدالة على ذاته ﷻ ، والدالة على صفات كماله ﷻ من الألوهية والحياة والقيومية والرحمة والمغفرة، والسمع والبصر، والعلم وغيرها من أسمائه الحسنى.

ومن خلال ما سبق نجد أن القرآن في حديثه عن الأسماء والصفات مباشرة، يثبت إثباتاً مفصلاً لصفات كماله سواء كان في ذاته أو صفاته ﷻ ، وينفي نفياً مجملاً[1] عنه ﷻ كل نقص وعيب أو مشابهة للمخلوقات، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] وقوله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: 60] وقوله ﷻ : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 4]، وإذا فصل في النفي فهو لإثبات ضده من الكمال لا لمجرد النفي أو السلب. (فلا يحمد نفسه سبحانه بعدم إلا إذا كان متضمناً لثبوت كمال: كما حمد نفسه بكونه لا يموت لتضمنه كمال حياته، وحمد نفسه بكونه لا تأخذه سنة ولا نوم لتضمن ذلك كمال قيوميته، وحمد نفسه بأنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر لكمال علمه وإحاطته[2]، فكل سلب في القرآن حمد الله به نفسه فلمضادته ثبوت ضده وخلافه.

ويعد هذا الأسلوب من أبلغ الأساليب على الإطلاق في تفرده بيان الكمال لله تعالى، فالتفصيل في الصفات المثبتة، يظهر أنواع الكمال ويبعث على الثناء والمدح مما لا يتحقق بالإجمال. وكذا الإجمال في النفي في آياته تعالى يدل على المدح ويظهر كمال الموصوف ﷻ .

---

(1) قال ابن تيمية: أما الملاحدة من المتفلسفة والقرامطة والجهمية ونحوهم فبالعكس نفي مفصل وإثبات مجمل.
ويقول أيضاً: فهم يقولون ليس بعالم، ليس بجسم، ليس بسميع ولا بصير - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -. انظر: مجموع الفتاوى (6/ 515)، والتدمرية ص 26.

(2) انظر: مدارج السالكين (1/ 27).

ذكر مفعولات الرب ﷻ وآياته

فآيات الله تعالى لا تعد ولا تحصى من نعمه الوفيرة وخيراته العظيمة وكذلك دلائله وبراهينه تعالى ومن خلالها يتعرف على أسمائه وصفاته، قال ابن القيم: (وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى التفكر فيه، وأوقعك على العلم به ﷻ وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابة فبهذا تعرف إلى عباده، وندبهم إلى التفكر في آياته[1]. فآيات الرب هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه العباد، وبها يعرفون أسماءه وصفاته وتوحيده)[2] ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ [النبأ: 6-16].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

فالمشاهد الكونية العظيمة التي خلقها ﷻ وإعجاز تنوعها تذكر الفطرة، وتخاطب العقل وتدل على أفعال الرب ﷻ، كما تدل على كثير من أسمائه وصفاته فهو الخالق، الحي، القيوم، القادر، الرازق، الحكيم ﷻ.

(1) مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 340).
(2) مدارج السالكين (3/ 464).

مما دعى كثير من العلماء إلى التأمل في مخلوقات الله في الأكوان وكتبوا تأملاتهم مدللين على ما ثبت من أسماء الله وصفاته[1]، قال ابن القيم: (فأما المفعولات فإنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات. فإن المفعول يدل على فاعل فعله وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة)[2].

التذكير بنعم الله ﷻ

فنعم الله كثيرة لا تعد ولا تحصى وكذلك فمعرفة النعمة سبيل لمعرفة المنعم[3]، والهبات دالة على الوهاب، والعطايا دالة على المعطي ﷻ، لذا فقد ذكر القرآن كثيراً بنعم الله تعالى مجملة تارة، ومفصلة تارة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [ابراهيم: 34].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: 71-73]. وقوله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: 58-59] وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: 24-32] وهو بهذا يوقظ القلب ويحرك الفكر ويلفت انتباه العبد لمولاه الجواد الكريم الرحمن

(1) ومن هؤلاء العلماء ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل ص: 101، ومفتاح دار السعادة (1/ 341).

(2) الفوائد لابن القيم ص: 42.

(3) مدارج السالكين (2/ 247).

الرحيم، ففي هذا التذكير بالنعم وضرب الأمثلة تعريف بالخالق الرازق المعطي الوهاب، وتذكير به ودعوة إلى عبادته وشكره والتفكر في عجائب خلقه ﷻ .

تعريف العباد بأنفسهم، وأصل خلقتهم وضعفهم وفقرهم

ومما يدل على استقامة العبد أن يعرف نفسه فإذا عرفها عرف ضعفها وفقرها له سبحانه فمن عرف نفسه عرف ربه، ومن ذلك قوله تعالى مذكراً الناس بأصل خلقتهم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2] ، وقوله ﷻ مبيناً لهم فقرهم: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فَاطِر: 15] فالعبد إذا عرف ضعفه عرف قوة مولاه، وإذا عرف فقره عرف غنى مالكه، (وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره، ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله)[1].

- مخاطبة عقول العباد بالأدلة الواضحة التي تبين لهم صفات المعبود الحق.

كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: 35-36] فبين لهم بهذا الدليل أن ما يرونه من المخلوقات دليل قاطع على عظمة الخالق ﷻ وقوته، بطريقة قوية بليغة تأخذ بالألباب، وتؤثر في النفوس أيما تأثير[2].

والبراهين كثيرة لا تحصى ولا تعد مما يدل على انتظام الكون وسلامته من الاختلال دليل واضح على وحدانية الله وتفرده بالملك والحكم، والخلق

(1) انظر: مدارج السالكين (1/ 431).
(2) انظر الإتقان للسيوطي (2/ 207).

والأمر فقال ﷻ : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]، ومن يتأمل ذلك يجد أن القرآن مليء بالأدلة التي تخاطب العقل، وتوصل إلى المطلوب، ومنها استقى كثير من علماء المسلمين أدلتهم العقلية، وبذلك فالقوة والأدلة الإقناعية في القرآن أقوى وأعظم منها في أدلة الفلاسفة من حيث إلجائها المباشر إلى الفطرة الإنسانية وإلى العالم المشاهد مما لا يبقي معه مجال للشك أمام المسوق لأجله الدليل إلا التسليم والإذعان، أو الانقطاع والانسحاب، لعجزه عن الإتيان بمثله.

ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم

فقصص الأنبياء في القرآن الكريم مليء بالتعريف بالله الواحد الأحد المستحق للعبادة وحده دون سواه، وفي قصص الأنبياء من خلال دعوتهم إلى عبادة الله تعالى وترك عبادة من سواه مادة غنية بالتعريف به ﷻ فقد كانوا عليهم السلام يدلون أقوامهم على الله ﷻ ، ويبينون لهم نقص كل ما يدعى ويعبد من دون الله، ويذكرونهم بنعم الله المتوالية عليهم، كما في قصة نوح عليه السلام ، وخطابه لقومه الذي يحكيه القرآن الكريم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: 10-18].

فقد كان أنبياء الله تعالى يحاجونهم بالأدلة المقنعة ويحاورونهم بالحجج القوية ليبينوا الحق ويبطلوا الباطل، ومن ذلك محاجة إبراهيم عليه السلام لأبيه التي أخبرنا عنها الله تعالى بقوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: 41-42]

فأنكر على أبيه عبادة آلهة لا تسمع ولا تبصر، ولا تستطيع النفع ولا الضر، إذ إن الإله المستحق للعبادة هو السميع البصير، النافع الضار دون سواه ﷻ.

وبذلك اتخذ ا آن الكريم من القصص سبيلاً للإقناع والتأثير وإقامة الحجة والبينة على المخالفين، وفي ضمن القصة أدلة على بطلان الشرك وعبادة الأوثان، ومجيء الأدلة على لسان الرسل الذين كان معظم العرب يعرفون قدرهم يعطيها قوة من جهتين: من جهة قوة الدليل المحكم الذي لا يشوبه شائبة أياً كانت صغيرة أو كبيرة، ومن جهة أن القائل رسول أمين من بين أظهرهم ولا خلاف عليه في حسن سيرته ومسلكه وصدقه وحسن أخلاقه، فالله تعالى اصطفى رسله من أفضل البشر على الإطلاق فلا يدانيهم أحد مهما كانت مكانته وحسن أخلاقه فيما اتصف به رسل الله تعالى.

تصحيح التصورات الخاطئة عن الله وأسمائه وصفاته

بعث الله تعالى الرسل حتى يخرجوا الناس من عبادة الأوثان والبشر والحجر والحيوانات، فالمجتمع الجاهلي المشرك، المقطوع الصلة عن هدي الوحي يتخذ مع الله شريك، وينسب له الولد، ويوصف بالتعب واللغوب، آن الكريم في تعريفه بالله ﷻ كما يخبر عن كماله يصحح أمثال هذه التصورات الخاطئة الباطلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: 38]. وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1-4] فأبطل ﷻ ما قد يتصور في حقه ﷻ من الوالديه أو المولودية أو الند والشبيه وأثبت المعتقد الصحيح في ذاته العظيمة التي تنزهت عن الكفء والند.

كذلك رد على اليهود الذين لم يقّدروا الله حق قدره فقالوا فيما يحكيه عنهم ا آن: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: 64] فصحح هذا التصور الفاسد

بقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: 64] فهو الكريم الجواد المعطي الوهاب المنان ﷻ الذي يبسط يديه بالعطاء.

ونرى من كل ما تقدم أن طريقة القرآن الكريم في التعريف بالله ﷻ: تارة بالخبر المباشر الذي يذكر الفطرة بميثاقها القديم، وتارة بالبراهين العقلية القاطعة مخاطباً العقول والقلوب، فكان أقرب طريق للتعرف على الله ﷻ، حتى أن المتكلمين أنفسهم بعدما ساروا وراء عقولهم فيما لا مجال للعقل فيه فعجزت عقولهم فعاد منهم كثير ليقول صراحة: (لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات): ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10] وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦ﴾ [البقرة: 255] (ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)[1] وبدون أن نجرب تجاربهم، أو نخوض فيما خاضوا فيه، بل بالتلقي الصحيح من الكتاب والسنة نتعلم يقيناً أننا لن نعرف الله إلا بما يعرفنا الله سبحانه عن ذاته وأسمائه وصفاته.

قال ابن تيمية بعد عرضه لشيء من أدلة المتكلمين معلقاً على استدلالهم: (فلا يخلو عن خطأ يصد عن الحق، أو طريق طويل يتعب صاحبه حتى يصل إلى الحق، مع إمكان وصوله بطريق قريب.. وما أحسن ما وصف الله به كتابه بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]. فأقوم الطريق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله، وأما طريق هؤلاء فهي مع ضلالهم في البعض، واعوجاج طريقهم وطولها في البعض الآخر إنما توصلهم إلى أمر لا ينجي من عذاب الله، فضلاً عن أن يوجب لهم السعادة، فضلاً عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقهم)[2].

---

(1) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (5/ 11) والقول منسوب للرازي.

(2) مجموع الفتاوى (9/ 153).

ومن خلال ذلك نصل إلى عظمة طريقة القرآن في تعريف العباد بربهم وما له من الأسماء والصفات التي تدلهم على أنه المعبود بحق دون غيره، وعلى خطا طريقة القرآن سار رسول الله ﷺ يعرف أمته بربهم ﷻ .

obeikandl.com